

# ذكرنايت مع سميرة عزام

## بقلم جمال أحمد

اعانها على قدر من الخلود ؟ واجادل انا ، ادفع عن نفسي ، لا انكر عليها الحق الذي تقول .

لكن كلماتي الهائلة لم تجد استجابة ، نازك مكانها ، لا تلين ، لا تقول . وسميرة مكانها كذلك حبيسة خجل عرفته في بناتنا نحن اهل السودان . وصمت ايضا انا ، فجاءت سميرة للنقطة ، قالت اسمع . واصفيت : لقد قرر « الزعيم الاوحد » ان اخرج من بغداد في اربيع وعشرين ساعة ، مضت الان منها بضع ساعات ، واسهبت فيما بعد في حديث عن متاع دارها الذي جمته عبر السنين في بغداد ، وكان بعضي يسمع ما تقول ، وبعضني الاخر يفكر في هذه التي اتخذت من بغداد موئلا ووطنا الى ان يكون لها موئل ووطن . واحبت اهله ، حتى لخفت عليها احزانها . كانت تتحدث عن الوقت الذي يقتضيه بيع متاعها ، او الاحتفاظ به في مكان ، حتى يتاح لنا ان نبعث لها به في بيروت . وسميرة ما عدت ان تكون امرأة كانت تتحدث عن الارناك والسجاد والبراد ، كانها قطع بشرية ، لها حياتها المستقلة . جانب ما رأيته فيها الا ليلتي تلك ، وما عرفت ما اقول لاسري عنها ، ودخل اديب ، زوجها الرجل النبيل ، وجلس مثلي يصفي ورأسه بين كفيه ، شأنه معها في الجانب المرئي من حياتها معا . يكفيها مؤونة العيش الرفيه ، احسبه حتى يومي هذا ، ما عنى بالذي كتبت وقالت ، قدر ما عنى بحراسة عقل يدرك انه معذب ، ممزق ، كقلبه . اخذ على نفسه ان يرعى واحدة ، على النحو الذي يرعى العربي اية انثى تجيء طريقه . « اديب ايهسا العزيز » ان كنت في الجمع ، استمع ، لك علينا دين ، حياؤك الجم ، يحول دوني والتصدي له .

كنا معا في بغداد ايام الملكية ، وكانت لغادانا غير قليلة ، اغيظها في الذي كانت تدبغ كل صباح ، كلما قابلت بين الذي اعلم والذي ينبغي ان اعلم ، على النحو الذي قلت قبل قليل . اقول لها تحدثين عن خدمة المواهب والساسنة ، وتلفين في الذي هو انكى . تديمين كل صباح ، تميمين اداة اوقفت نفسها على تخريب ما بين العرب . تسعى لتباعد بين بغداد والقاهرة ، فاعدتني القوة العربية . تميمين القوى الخارجية ، التي تسهر بعين هذه الفرقة ، وتقول لي ، انها لا تدبغ الا الذي تراه ينير الطريق ، غنمته تكانفت من حوق بعضنا وجهل بعضنا الآخر . وكانت صادقة . تقص كل صباح حكاية ، او تقرأ قطعة ، يفتن صوتها الاخاذ ، ويسر ما تقول كثيرا من القلوب الحزينة ، وما كانت سميرة في حوجة للدنانير ، وان كفاها كل شيء يههما ، كما قلت ، فليست لشيء اخر الليل تسهر .

لنعد لما كنا فيه من حديث خروجها من بغداد في اربيع وعشرين ساعة . مضى الليل الاقله ، وانصرفت ادير في ذهني هذه القصة الشاذة - وان كان الشذوذ هو القاعدة على ايماننا تلك - افكر اين ابدا علاجها ، وما ادري لم خيل الي ان واجبي يقتضي ان افعل شيئا ، ربما لانني كنت اعرف من اهل الحول والقوة اكثر مما يعرفون ، علمي يسوقني سوقا اليهم .

رحت للصديق الاثير محمد كبة مد الله في ايامه - فقد كان ثاني اثنين اجد في الجولس اليهما طمانينة واملأ ، وكان عضو مجلس السيادة ، على عهد ذلك المجلس الاول ، فلقاني قلقا « خير خير » خشي ان يكون قد وقع بي سوء واطمان على عيالي وحالي وقال بما ان استمع لقصة سميرة « لا تسرف » ، في الاذاعة مناسفات وعلم رأسها ضابط ساذج ، لا يريد شرا بأحد ويكره الشر ويعمل في نظام ا

اخي شفيق ( ✖ )

لك ولاحباء سميرة ، الحب كله ، والولاء والود . بعين اساي على صديقتي الراحلة ، ان اشرك واصدفاها ، ما تعملون من اجلها هذا المساء ، وليس من عزمي ان اتحدث عن قصصها وما عريت من كتب ، فما اذكر ان شيئا من اعمالها ، يقترب حتى اقترابا من موهبتها الحقيقية : اشير الى شخصيتها . ما كانت روائية بطبعها ، وما كانت قصاصة مبدعة ، وما عانت الادب ملهة ، كبعض بناتنا اليوم . موهبتها شخصيتها . لو كانت معنا هذا المساء ، لقلت لي ، « ما اقرب ما تقول للصدق والحق » ، وان كنت اخذ عليك الابانة والوضوح فسي بلاد تخافهما عن الراحلين امس فحسب . يفغر حبي لها ، واشاري اياها ، اني لم افتن بالذي كتبت ، وان راعتني شخصيتها .

لن اتحدث عن سميرة الكاتبة التي احب القارؤون العرب في كل مكان ، لكنني اريد لاقص حادثة بعينها في حياتها ، لعلها تميم الذين سيكتبون سيرتها يوما من الايام على استغراء عبرتها .

دعني ذات مساء على الهاتف « ان تعال » ، فرحت ، وما كان في وسمي الا ان اروح على عجل . فقد كان في صوتها هدجة ما الفتها ، وفي حديثها الوجيز عجز ما عرفته . وكانت ايام مشقة . التي في روع عبد الكريم ، ان كل عربي يريد به وبرجاله السود ، واوحى اليه ان العربيين ، لا يهدفون العراق ، بلدا رائدا جسورا اهله . لن تكتمل عروبة لا تباركها العراق . اوحى اليه ان ثروات العراق هي القصد ، ولقي كل هذا هوى في نفسه الطموحة ، فاهوى على الاخير ، وعم الكنيرين الذعر والرعب . جاء هذا في خاطري وانا الف عامتي فسي طريقي لسيارتي . وحسبت ان شيئا منزليا في طوقي ان اعينها عليه قد وقع . ودخلت صالونها الصغير ، فاذا هي وصديقتها الاثيرة نازك هناك ، صامتتان . نازك كانت اقرب بناتنا لنفسها ، وبين الاثنين فجوة ، نازك تطيعها الكلمة ، كما لم تطع شاعرة او شاعرا عندنا في النهج الذي ابدعته وباسمها اقترن ، وسميرة تكبح ، تلتث ، تسهر وتخدلها الموهبة والقصد . هذه موهبة وقصد ميين ، وتلك كبح وقلق ينتمنان . ما ادري ما الذي جمع بين الروحين ، لعلها الصوفية والبصيرة في اعماق نازك ، والصوفية المنردة نفسها في اعماق العزيرة الراحلة . شيء يشق على ادراكنا نحن الذين ناخذ الطيب جنب الخبيث على ايماننا السود هذه ، نعيش ازمنا ، دقائق حوادثها كل يوم وساعة تكاد لا تدع لنا لحظة تأمل .

وقلت كلمات هائلة ، اريد لاحملها على الحديث ، او احمل سميرة على الاقل ، واذكر جيدا هذا الذي قلت ، اردتني على المجيء لاخلص قليلا من انقال الحياة التي اعيشها دبلوماسيا عربيا في بلد طيب اشركه بكل جارحة فيه ، قدره على ايماننا تلك ، وكان هزلي هذا بعض حق ، لان سميرة كانت تمودني من حين لحين ، تلح علي ان اخدم مواهبي ، لا سادتي ، كما كانت تعبر . تمدني اقرب لشؤون الفكر من شؤون السياسة ، تحثني على العيش مع من احب واختر ، « بدر » و « جبرا » و « نازك » لا مع الذين تختارهم لي المهنة . تلوح في وجهي باصابعها الصغيرة ، تفرطها فرطاً على كنها الصغير . اقول لك : الفكر اولى ، انظر من يعرف القيصر الذي كان يدير امر الروس على عهد دستوبوفسكي ؟ واليزابت الاولى . . الا تسرى ان مارلو وشكسبير

( ✖ ) المقصود هو الاستاذ شفيق الحوت مدير مكتب منظمة

التحرير الفلسطينية في بيروت .

حول واحد أن يقومه ، حيس قوى انعت عبد الكريم انها لقت عنتا على العهد الملكي ، وجاء دورها لتلوق مريعات هذه الحياة الدنيا . للعراق دين عليهم ، ينبغي أن يؤديه ، ليرفها كما ربه المذبوهم من قبل ، ويمتلكو من البيوت والقصور والارض ما امتلك اولئك . ما كان جديدا علي هذا الذي قاله شيخنا الجليل . كنت اسمعه من فئة حسبته أيام العهد الملكي ، صفوة تريد خير الناس ، لا الحزب أو الطائفة . كنت اتقي بهم في داري يحرسني مكاني في الدولة سفير بلد شقيق ، فيما كان يقول بعض أهل السلطة ، ولا يمنونه ، يتحرقون ليوقعوا بين الخرطوم والقاهرة ، وقلت للشيخ الكبير ذي الهممة قلت له هذا ، فما عجب ، فقد كان بعض الذين ساروا بالثورة غير سيرتها ، احلافه ، والحق اقول انه وحده وسيلتي ، وقال وهو يقودني للباب ، في صوت حزين - فقد كانت احزانه التي انتهت باستقالته ، بدأت تؤوده قال : « الصباح رباح » .

وفي الصباح دعيت لمكتب الزعيم ، فذهبت وانقا ان الشيخ قد هيا لي لقاء معه ، وكانت لقاءات الواحد معه عسيرة لا من ناحية المراسم ، فيما يتصل بي على الاقل . كانت عسيرة ، لانه كان يثرثر . تلقاني كمهدي به حفا ، وكان أبدا معي كذلك ، يقص علي اقصيص حبه للسودان وأهله ، واعجابه بالسودان ، لانه يقف في وجه الطامحين ، وما كانت ثرثرته لتعجب عني مرماه في أن يباعد بين بلدين ، أحدهما درع الآخر ، عاشا ثلاثة آلاف سنة من التاريخ المكتوب أكثر الاحيان في صلة وثيقة ، وبعضها في صلة متارجحة . وفرغ الزعيم الاوحد من هذه ، ومن الكهرباء التي تم القرى والمدن ، وخططه لانقاذ فلسطين ، وما من هذه بسبيل . ووجدت فرجة في الحديث فذكرت له الامر الذي جئت من اجله ، وقلت كل الذي تستطيع أن تتخيله مما يمكن للواحد أن يقول ، فتحسر وتالم ، وقال انه يقدر خدمات سميرة للعراق ، ومكانها في دنيا الادب ، وحقوقها على الرجال كامرأة ، وودعني لدى الباب ، كلي طمأنينة ، وهرعت لمكتبي ، وعلى الهاتف دعوت

سميرة ، أحمل انبا . فجات على هجل لمكتبي تذكر هذه اليد وكلها بشر ، وتقالى وتسرف في الذي فملت ، وكانت تجنح لهذا ، فيما كان يقول بعض اصحابنا آنذاك . يخال بعضهم أن الحديث اليها يقبض النفس ، فكله يدور حول مأساة فلسطين وما كانت كذلك في الحق . كانت تعيش ففدانها الاهل والدار في شجاعة امام الناس ، وقلبها مفطور . شاهدي على الذي اقول انها راحت فجيمة . اكاد اتخيل حوارا بين شقيها ، بعد عارنا الذي تردينا اليه في ستة ايامنا السود . شق يقول لها ، تعالي ، نروح ، فما بقي ما نحيا له اليوم وقد تهشم الامل - وليكن مؤقتا - تهشم الامل الذي كان يدفنا للميش . وشق يقول لها ابقي لتري ، وان كان بعد عمر ، عودة الاهل والدار ، واكتبي لعل بعض طموحك أن يتحقق . ويجادل شقها الايمن ، شقها الايسر ، اتقي أم تروح ؟ واختارت ، والله اختارت أن تروح ، لا تعيش الهزيمة ، وكان في روحها في قلبها أنا سنظب ، لان الحق معنا ، والخير ، ومن يدري لعل القدرة .

ومن مكتبي اعلنت سميرة لصديقاتها أن شيئا سيحدث ، وانها لن تغادر بغداد على النحو الذي عرفوا اول الليل امس . وانصرفت ، وانصرفت للعداء اقصى على اهلي في البيت قصتها ، على مائدة الطعام ، وفرح كل من في الدار ، من اجل سميرة ، ورجعتي عابدة الصغيرة ، معجبة بابيها الذي يجيء بالمعجزات ، فهذا هو الشطر الذي فهمته ، او عنيت به من القصة ، ودق جرس الهاتف ، فاذا اديب في الجانب الآخر ، يقول ، جانا ضابط الان هذه السامة وأبلغنا - واعدت نفسي لدقيقة النصر - وتابع اديب ، ابلغنا أن الزعيم قد مد اقامة سميرة ١٢ ساعة أخرى .

ماذا اريد أن اقول . ربما الذي قال مروان ، واوجز « لم تكن اقدار ايامها كريمة معها » .

جمال أحمد

الخرطوم

# السفير

الباب

آخر رواية للكاتب الشهير

موريس ويست

رواية الحرب القدرة في فيتنام ، كما يروها سفير اميركي عين في سايفون وشاهد في اول يوم وصل فيه انتحار راهب بوذي .. وهو يقص هنا قصة تلك المنطقة التي تمزقها الخلافات السياسية والدينية والعسكرية وتدخل الولايات المتحدة الاميركية في هذا كله . ويعيش هذا السفير مأساة ضميرية اذ يكون عليه ان يختار بين رجل يحترمه ( هو الرئيس كونيغ ) وبين طفمة من الجنرالات المتأمرين الذين تدعمهم المخابرات السرية الاميركية .. انه الصراع بين الاخلاق والانتهازية السياسية ، ولكنه كذلك مأساة شخصية يخرج منها السفير مجروحا في ضميره بحيث يهجر مهنته الدبلوماسية ليلتمس الخلاص الروحي بالقرب من راهب ياباني ..

وقد نجح موريس ويست ، وهو مؤلف رواية « محامي الشيطان » الشهيرة ، في تصوير حرب الفيتنام والدور الذي تلعبه قسمة من الشخصيات المختلفة الغامضة ، وفي التعبير عن نزعة انسانية رائعة جعلت هذه الرواية في طليعة الروايات المعاصرة .

صدر هذا الشهر